التراث الثقافي وسؤال القيم في المنهاج الدراسي المغربي

الباحث عبدالمالك العلوي
الباحثة فاتن الرميلة
الباحث هاشم علوي طيبي
إشراف: الدكتورة بشرى سعيدي
الكلية المتعددة التخصصات، الرشيدية
المغرب

ملخص المداخلة:

إن مجتمع اليوم يعرف مجموعة من التحولات والتغيرات في العديد من مجالات الحياة: التقنية والاقتصادية والاجتماعية... مما أثر على القيم والبناء الثقافي والمعرفي للفرد والمجتمع من هنا كانت الحاجة ماسة لإعادة النظر في دور المؤسسات التعليمية والمناهج التربوية والبرامج التعليمية لتتوافق مع كل جديد، والتركيز على مسايرة العصر مع المحافظة على البناء الثقافي والقيمي للمجتمع. وكذلك كيف يمكن أن يكون إسهامنا ليس فقط لوصف حالة المجتمع وتوجيه النقد له ولكن للمساهمة في بناء الفرد واقتراح البدائل الكفيلة بتطوير مدارسنا ومقرراتنا في ضوء المتغيرات العالمية والاستفادة من التجارب السابقة حتى يتسنى لنا الخروج بنموذج يحقق لنا الجودة المنشودة.

Today's society is experiencing a set of transformations and changes in many areas of life: technical, economic, and social...which affected the values and cultural and cognitive construction of the individual and society. Hence, there was an urgent need to reconsider the role of educational institutions, educational curricula, and educational programs to be compatible with everything new, and to focus To keep pace with the times while preserving the cultural and value structure of society. Also, how can our contribution be not only to describe the state of society and direct criticism at it, but to contribute to building the individual and proposing alternatives to develop our schools and curricula in light of global changes and benefiting from previous experiences so that we can come up with a model that achieves the desired quality for us.

كلمات مفاتيح: المدرسة – القيم – التراث – المنهاج الدراسي – التراث الثقافي – الهوية

إشكالية المداخلة:

إلى أي حد يمكن أن تساهم المدرسة المغربية في حفظ التراث الثقافي وضمان استدامة القيم؟

محاور المشاركة:

- **تقديم:**

1. **مفاهيم: التراث – القيم – المنهاج الدراسي**
2. **القيم والتراث الثقافي في السياق التنموي المغربي:**
3. **دور المدرسة في حفظ التراث وتعزيز القيم:**
4. **حضور التراث في البرامج التعليمية والمبادرات الثقافية:**
5. **أساليب وطرق تصريف القيم في المنهاج الدراسي:**
6. **أمثلة عملية ونماذج تطبيقية:**

- **خلاصة وتوصيات:**

مقدمة:

لقد أصبح الاهتمام بالتراث الثقافي أمرا ضروريا للحفاظ على قيّمنا وهويتنا وتماسكنا الاجتماعي، في ظل التحولات الثقافية والتقنية المستمرة التي تشهدها المجتمعات اليوم، ومن بين الفضاءات التي تؤدي دوراً محوريا في نقل هذا التراث إلى الأجيال الناشئة هي المدرسة، التي تعد منبراً رئيسيًا لتعليم القيم والمبادئ التي يتجذر فيها هذا التراث.

هكذا، تشكل المدرسة بيئة حيوية وفضاء مناسبا لتعزيز الوعي بالتراث الثقافي الغني للبلاد، الذي يعكس العمق الأنتروبولوجي المغربي، والتنوع البيولوجي والجيولوجي الذي تمتاز به بلادنا، إلى جانب الغنى الاثنوغرافي واللغوي والفني. ويعد الفعل التربوي التعليمي الذي تنهض به المدارس جزءًا لا يتجزأ من جهود الحفاظ على الهوية الوطنية والمجتمعية، مما يجعل من الضروري دمج قيم التراث في المناهج الدراسية وفي برامج التعليم بشكل عام.

إن سؤال القيم في المدرسة المغربية يعبر عن تحديات وفرص في نقل هذا التراث بطريقة تتناسب مع تطلعات الناشئة واحتياجات المجتمع المعاصر. وسنحاول في هذه المداخلة تسليط الضوء على أهمية موضوع التراث الثقافي وسؤال القيم في السياق التعليمي المغربي، حيث يمكن أن يكون للمدرسة دور حيوي في تعزيز الوعي بالتراث وتعزيز الانتماء والهوية الوطنية.

وبناء على ذلك يمكن صياغة الإشكالية التالية:

إلى اي حد يمكن أن تساهم المدرسة المغربية في حفظ التراث الثقافي وضمان استدامة القيم؟

المحور الأول: الجانب المفاهيمي للدراسة:

1-1 مفهوم التراث:

التراث حسب الدكتور عباس الجيراري هو الإرث الثقافي والحضاري الذي يصل إلى أمة من الأمم عبر العصور والأزمان، وليد تفاعل الأجيال، مكونا مجموع ما بلغته هذه الأمة في مضمار المعرفة الواسع.[1]

وفي كتاب" واحة سكورة" نجد أن التراث يعني الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي، وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي المعاصر.[2]

1-2 مفهوم القيّم/ السلوك المدني:

القيم حسب الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي هي: مبادئ عامة وموجهات أساسية يقيس الفرد في ضوئها الأفكار والقواعد السائدة في المجتمع، فيقبل ما يتوافق مع هذه الموجهات ويرفض ما يخالفها... وترتبط القيم بواقع الحياة اليومية ارتباطا وثيقا، فهي نتاج تفاعل مستمر بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه، وهي أنواع: فقد تكون اجتماعية أو دينية أو فلسفية أو مادية أو مرتبطة بالعمل أو بالجمال...[3]

وفي القانون الإطار رقم 51.17 في المادة الثانية من الأحكام العامة، نلاحظ أن القيم ترادف السلوك المدني الذي عرفه بأنه: التثبت بالثوابت الدستورية للبلاد، في احترام تام لرموزها وقيمها الحضارية المنفتحة، والتمسك بالهوية بشتى روافدها، والاعتزاز بالانتماء للأمة،

وإدراك الواجبات والحقوق، والتحلي بفضيلة الاجتهاد المثمر وروح المبادرة، والوعي بالالتزامات الوطنية، وبالمسؤوليات تجاه الذات والأسرة والمجتمع، والتشبع بقيم التسامح والتضامن والتعايش؛[4]

1-3 المنهاج الدراسي:

المنهاج الدراسي على حد تعبير الدكتور العربي السليماني: عبارة عن خطة عمل تتضمن الغايات والأهداف والمقاصد والمضامين والأنشطة التعليمية، وكذا الوسائل الديداكتيكية، ثم طرق التدريس وأساليب التقويم. [5]

وفي كتاب "أفق المدرسة" لعبدالفتاح ديبون، يفيد مفهوم المنهاج إيتيمولوجيا المجرى والتعاقب، ويعني في المجال البيداغوجي، مجموع منسجم من المحتويات والمواقف التعليمية المطبقة حسب نظام تطوري ويتكون حسب تايلور من أربعة عناصر أساسية: الأهداف، المحتويات، التنظيم، التقويم.[6]

أما في الدليل البيداغوجي، فالمنهاج الدراسي يعني تصورا متكاملا ينطلق من المدخلات وصولا إلى المخرجات، وما ينبغي أن يكون عليه المتعلم في نهاية مستوى دراسي أو سلك دراسي أو تخصص دراسي.[7]

إن تأمل هذه المفاهيم يجعلنا ندرك طبيعة العلاقة الوطيدة التي تربط بين التراث والقيّم والمنهاج الدراسي. فالتراث يمثل الموروث الثقافي والتاريخي للشعوب، ويتضمن العادات والتقاليد والمعتقدات والفنون والمعارف التي تنتقل بين الأجيال. هذا التراث يحمل في طياته القيم التي تشكل أساس تفاعل الفرد مع مجتمعه ومع العالم من حوله.

وبما أن المنهاج الدراسي يعكس لنا الأسس الفلسفية والمرجعية الدينية والثقافية والوطنية التي ترتكز عليها المنظومة التعليمية ببلادنا، فإنه يعتبر وسيلة فعالة لنقل هذا التراث وتحقيق الاستدامة الثقافية من جيل لآخر وترسيخ قيم الهوية الوطنية بينهم.

2- المحور الثاني: القيم و التراث في السياق التنموي المغربي

من المعروف أن التراث يحمل في كيانه كل شيء ينتقل من الخلف إلى السلف، بمعنى هو ما أبدع فيه أجدادنا، وبقي راسخا في الذاكرة الجماعية لنخلق من خلاله تراث حضارتنا الخاص بنا، فالتراث بشكل عام يضم مجمل "عادات و تقاليد مجتمع ما، و هو ما يعبر عنه أفراد هذا المجتمع من آراء و أفكار، و مشاعر و يتناقلونه بأشكال مختلفة كالأساطير و الأهازيج، و الأمثال و الحكايات، و الفنون و الرقص..."[8]

وقد أقر الدكتور توفيق أكياس أن التراث "ارتبط مفهومه بمفاهيم نقل القيم، حيث يعتبر الفرد التراث قيمة تكشف عن هويته الثقافية و هوية المجتمع الذي يعيش فيه، و هو بهذا المعنى يعبر عن واقع الانتماء "[9]

2-1 التراث رافعة للتنمية المستدامة:

لقد أصبح التراث الثقافي اليوم ركيزة مهمة ومصدرا أساسيا للتنمية المستدامة. ولا يمكن الحديث في هذا السياق عن تنمية منطقة ما دون تسليط الضوء على عنصر محوري وهو الإنسان، لأن النمو ببساطة موجه لخدمته، وهنا تتجلى بوضوح أهمية الثقافة باعتبارها رافعة للتنمية، "نظرا لطابعها الوجداني، وارتباطها بالتجديد والإبداع، وقدرتها على التدخل كأداة لترسيخ الوعي، قادرة على تحفيز كل الفاعلين على الانخراط بحيوية في تحقيق أهداف التنمية، لتسريع حركة مجتمع متحول...باعتبارها مصدرا للحرية في اختيار قيم التنمية"[10]

2-1-1 مفهوم التنمية:

التنمية مفهوم يحيل إلى تحسين الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية في مجتمع ما، بهدف رفع المعيشة وتحقيق كل متطلبات وحاجيات الأفراد، وذلك بطبيعة الحال لن يتحقق إلا من خلال مجموعة من الجهود و السياسات المستدامة." يرتبط مفهوم التنمية " برؤية تحويل وتطوير لحالة راهنة، من خلال الاستثمار الجيد للمصادر الداخلية و الخارجية، و السعي نحو تطوير نظام الإنتاج. و يستعمل في مجالات متعددة " المقاولات، المشاريع، الشركات، السياسة، الاقتصاد. ..

و قد ظهرت في هذا السياق عدة اصطلاحات لتحديد المفهوم، منها:

- النمو الاقتصادي: المتمثل في زيادة الإنتاج و تكثيف المبادلات الدولية.
- النمو التكنولوجي: يدل على التقدم التقني و التطورات التكنولوجية في مجال الاكتشافات العلمية.
- التنمية البشرية: تهم المجال الاجتماعي، و تطوير مستوى عيش الأفراد فيما يخص الصحة و التعليم، و التقليص من معدلات الفقر.
- التنمية البيئة: تهم حماية البيئة و النظم البيئية، و تدبير الأضرار المتعلقة بها.[11]

2-1-2 مفهوم التنمية المستدامة:

يرى إدغار موران أن "فكرة التنمية تفرض بطريقة ضمنية أن التنمية التكنولوجية – الاقتصادية هي القاطرة الطبيعية التي توصل إلى التنمية."[12] هذا بمعنى أن موران يؤكد على أن هناك علاقة تكامل بين تحقق التنمية و التحولات التكنولوجية التي يشهدها المجتمع. ونضيف في هذا السياق تعريفا آخر لجاك تستار الذي يرى أن التنمية المستدامة "هي مشروع حضارة، و أنه منذ بداية الإنسانية كانت الحضارة مسارا يتأسس على الثقافة. أي انتشار معارف الفعل و العادات و التقاليد و الاعتقادات، و تمثلات العالم، و البنيات والاختراعات."[13] من هنا يمكن طرح تساؤل عن أية علاقة تربط بين التنمية المستدامة والتراث الثقافي؟

2-1-3 التراث الثقافي: محرك للتنمية المحلية بالمغرب:

إن الجواب عن كيف يمكن للتراث الثقافي أن يكون محركا للتنمية المحلية، نستحضر من خلاله "إعلان اليونيسكو حول التعدد الثقافي في شتنبر 2001 الذي مأسس التعريف الواسع للثقافة الذي تبنته في مكسيكو 1982. و هو ما أكده اعتراف اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي لسنة2003 ب أهمية التراث الثقافي غير المادي، بوصفه بوثقة للتنوع الثقافي، و عاملا يضمن التنمية المستدامة."[14] بناء عليه، فإن التراث الثقافي يندرج بالأساس وفق منطق تنموي، باعتباره يعد عنصرا محددا للتنمية المستدامة.

إن المجال الجغرافي الذي تبرز من خلاله المجتمعات بشرية، يعكس "العلاقات الاجتماعية السائدة فيها، من قيم و عادات و تقاليد و أفكار و أشكال التنظيم الاجتماعي، و طرق و أشكال استغلال المجال. كما يعكس تاريخ المجتمع، باعتباره ميدانا للأحداث التاريخية و حاملا للآثار و معالم شاهدة عليها."[15]

2-1-4 التراث المعماري و دوره في التنمية المحلية: واحة تودغى نموذجا

تعد القصور بواحة تافيلالت موروثا غنيا يشهد على تنوع و غنى الحضارة المغربية يحمل معمارا يضم العديد من الرموز و الدلالات. رغم العديد من التحديات التي تواجه هذه المآثر المعمارية من تدهور وتلاشي إلا أنها تعتبر وجهة هامة للسياح الأجانب و أيضا الجالية

المغربية و بعض السكان المحليين، مما يخلق انتعاشا في المنطقة. و نستحضر هنا منطقة تودغى كنموذج لرصد مظاهر التنمية المحلية في هذه المنطقة التاريخية.

توجد منطقة تودغى تنغير جغرافيا بالجنوب الشرقي للمملكة المغربية، و تنتمي إداريا إلى جهة درعة تافيلالت على المستوى الوطني و إلى إقليم تنغير على المستوى الجهوي، إقليميا تضم أربعة جماعات ترابية: جماعة تنغير، جماعة تودغى العليا، جماعة تودغى السفلى، جماعة واكليم، و تقدر مساحتها على التوالي ب99.66كلم، 42.87 كلم، 330.61 كلم، 556.96 كلم.

من المعلوم أن واحة تودغى تعرف إقبالا مهما من طرف العديد من الزوار الأجانب، خاصة محبي المناطق الجبلية و عشاق الدراجات الهوائية، هذا الإقبال ينعش الاقتصاد المحلي للمنطقة سواء من حيث المبيت، أو الأكل أو بعض الحاجيات الأخرى كالتسوق و اقتناء بعض المآثر و المجسمات كتذكار من المنطقة، هذا كله يعود لأهل المنطقة بفضل كبير إذ ينقص من حدة الفقر و البطالة في صفوف الشباب، إضافة إلى أنها "لعبت، دورا هاما في اقتصاد الجنوب المغربي، باعتبارها مركز الربط الاقتصادي لتجارة القوافل الصحراوية منذ القدم بين تمدلوت و سجلماسة و بين السودان عبر درعة. حيث أهلها موقعها لأن تلعب هذا الدور كوسيط تجاري منذ القدم. و لحدود الآن مازال موقعها التجاري مهم حيث تغذي مجالات الواجهة الجنوبية بحاجياتها من المواد المصنعة انطلاقا من مراكش عبر ورزازات، أو مكناس أو فاس عبر الرشيدية".[16]

3- المحور الثالث: دور المدرسة في حفظ التراث و تعزيز القيم

3-1 تعريف التربية على التراث:

التربية على التراث مصطلح يقصد به "أن التراث يعد قاطرة أساسية لكل سياسة تراثية، لأن الوسط المدرسي هو المكان الأفضل للعمل على التمكين من المعارف المتعلقة بالتراث، و تنمية السلوكيات الإيجابية تجاهه، باعتبارها ملكا جماعيا، ينبغي على كل مواطن الإسهام في حفظه. ..إن الترويج للتراث و الاهتمام به يجب أن يشكل محورا أساسيا للسياسات العمومية...وإن الغايات الكبرى للتربية التراثية ثقافية بطبيعة الحال، كما أنها ترتبط بالتربية على المواطنة. هذه التربية لا تسعى فقط إلى خلق روح احترام الأشياء التراثية، و لكنها يجب أن تستهدف فهم التجربة الإنسانية في تنوعها و بعدها النقدي الذي يقود إلى الحرية."[17]

3-2 التربية على التراث وتنمية الوعي الثقافي لدى التلاميذ:

يمكن للمبادرات الرامية إلى إدراج التراث الثقافي غير المادي في الفصول الدراسية وفي البيئات التعليمية غير النظامية أن تتخذ مقاربات مختلفة اعتمادا على السياق المحلي والاحتياجات والمستوى التعليمي. ويمكن إدراج التراث الثقافي غير المادي في المناهج الدراسية كلما كان ذلك ممكنا.18 باستطاعة المتعلم الاستفادة من التراث الثقافي غير المادي عندما يتم دمجه في مواضيع مختلفة، علاوة على أنه عند التعرف على التراث الثقافي غير المادي، يكتسب المتعلم احترام تراثه الحي وكذلك التراث الحي للآخرين والتأمل فيه.

جميع المقاربات لديها القدرة على تعزيز نقل التراث الثقافي غير المادي بشكل عام، نجد في بعض الحالة أن التركيز قد ينصب على نقل مهارات أو معارف محددة، مثل الأنشطة التي تمارس خارج المناهج الدراسية لغرض تدريب الطالب على استخدام بعض الأدوات التقليدية.

ورد في مقال لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: التراث الحي والتعليم يونسكو 2019 أن "عملية تناقل التراث بين الأجيال وما تنطوي عليه من إبداع هي المحرك الأساسي لعملية صون التراث غير المادي والضامن لديمومته. فهي عملية ديناميكية وتفاعلية

يجري من خلالها إعادة إنتاج وإبداع التراث غير المادي بصورة مستمر"19 هذا بمعنى أنه من بين الحلول لصون التراث هو تعريف الأجيال به والحرص على تناقله بينهم لضمان بقاء أثره. وورد أيضا أنه "يمكن للبرامج التعليمية أن تعزز الطرق والأساليب التي تنتهجها الجماعات، والمجتمعات المحلية في نقل التراث. وفي هذا الصدد، يمكن للمؤسسات التعليمية أن تعزز احترام التراث الثقافي غير المادي وتوفر مجالات جديدة لضمان نقله إلى الأجيال القادمة .وتُعد عملية نقل التراث الثقافي غير المادي ً بحد ذاتها شكلا من أشكال التعليم غير النظامي الذي يمارس في إطار الجماعات والمجتمعات المحلية. وهو بهذا يمكن أن يوفر محتوى التعلم وأساليب التعليم.

ويمكن للتعليم أن يقوم بدور مهم في صون التراث الثقافي غير المادي. وهو ما تُسلم به اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي إذ تعتبر أن نقل التراث الثقافي غير المادي" من خلال التعليم النظامي وغير النظامي، أحد التدابير الرئيسية لصونه .وتدعو الاتفاقية الدول الأطراف إلى اتخاذ التدابير الكفيلة بتوعية الجمهور بأهمية التراث الثقافي غير المادي ودوره وضمان احترامه، وتعزيزه من خلال البرامج التعليمية .ويمكن أن تشمل هذه البرامج ما يلي: ·برامج في مجال التعليم النظامي، مثل التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية وما بعد الثانوية· برامج في مجال التعليم غير النظامي، مثل الدورات التعليمية القصيرة، والتعلم في إطار الجماعة أو المجتمع المحلي وأنشطة بناء القدرات"20 هذا الحديث المقصود به أنه لضمان الحفاظ على التراث يجب على الأجيال أن تتناقله، و يضيف أن التعليم عنصر يسهم بشكل فعال تعريف التلاميذ بتراثهم، و ثقافتهم سواء كانوا يدرسون في التعليم النظامي أو غير النظامي.

4- المحور الرابع: حضور التراث في البرامج التعليمية الثقافية:

4-1 القيمة البيداغوجية للتراث:

إن مفهوم التراث يفتح المجال أمام مقاربات ديداكتيكية متنوعة، ترتكز على مواد دراسية متعددة، و كفايات مستعرضة. فمن البديهي أن نربط تدريس التراث بتدريس التاريخ و الجغرافيا، و أيضا بتعليم اللغات... بالرغم من كون المفهوم غير موجود في البرامج الدراسية بشكل مباشر، إلا أنه يوجد ضمنيا من خلال دراسة النصوص الأدبية و الدينية التراثية، و كذلك من خلال المعالم التاريخية و الطبيعية التي تتم دراستها في برامج التاريخ و الجغرافية".[21] هذا بمعنى أن إدراج التراث في البرامج التعليمية، يساهم بشكل فعال في تعريف الأجيال بتراثهم الذي يعتبر رمزاً للهوية والإنسانية الخاصة بالشعوب المختلفة، وخاصة الجماعات الأقلية التي تعتبره رمزاً للمعرفة والقدرات التي توصلت لها، والتي تناقلته وأعادت تكوينه، كما أنه يعد رمزاً مرتبطاً بالأماكن الثقافية التي لا يمكن التخلي عنها، إذ يساهم في تعزيز الروابط ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، كما أنّه يساعد على استمرارية المجتمعات. " ومن الملاحظ أن الموروث يملك مواصفات دائمة...ويمنحنا مركبات دالة على مر الأزمان في مشهدية الخطاب الكوني".[22]

إن المنهاج الدراسية عبارة عن خطة عمل تتضمن الغايات والأهداف، والمحتويات والأنشطة التعليمية والأدوات الديالكتيكية وطرق التعليم وأساليب التقييم. كما يعتبر بمثابة معيار يحدد ما يجب أن يكون. هذه المناهج الدراسية تسعى من خلالها الوزارة تمرير مجموعة من الأهداف سواء العلمية، أو المعرفية والإسلامية والاجتماعية، وكذا السياسية والاقتصادية للمتعلم، علاوة على بعض المعلومات الثقافية.

إذا عدنا إلى التوجيهات التربوية الخاصة بالسلك الإعدادي على سبيل المثال نجد أن هناك مجموعة من الكفايات يسعى المنهاج لتحقيقها ومن بينها الكفايات الثقافية وقد حددها فيما يلي:

- ترسيخ الهوية الثقافية للمتعلم في مظاهرها المتنوعة.
- تنمية الرصيد المعرفي والثقافي للمتعلم في بعديه الوطني والمعرفي.
- جعل المتعلم منفتحا على الثقافة الإنسانية في مجالاتها المختلفة.

- تمييز القيم الفكرية، والأخلاقية أو الجمالية الكامنة في التراث الثقافي والحضاري.[23]

بخصوص السلك الثانوي التأهيلي ففي التوجيهات التربوية الخاصة به نجد أن هناك مستويات، تضم نصوصا تتعلق بما هو ثقافي وتراثي وأستحضر هنا مقرر السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسالك العلوم والتكنولوجيات ففي الدورة الثانية هناك مجزؤه خاصة بجمالية الفنون البصرية تضم نصوصا حول المعمار والتشكيل. هذا بمعنى أن الوزارة لم تغفل استحضار نصوص حول التراث في المناهج الدراسية رغم أننا لاحظنا نذرتها في مستويات أخرى، ومن خلال هذه الدراسة لنا أمل كبير في تعميم كل ما يتعلق بالتراث من طرف الجهات الخاصة ضمن الكتب المدرسية لترسيخ الهوية الثقافية للمتعلم في مظاهرها المتنوعة."تعد التربية التراثية أيضا تربية على المواطنة، حيث يكتسب المتعلم المعارف المتعلقة بأثر ماضي الجماعة، و ماضيها بشكل عام. .. بناء على ما سبق، يتطلب الاشتغال على التربية التراثية انخراط المدرسة في شركات مع الفاعلين الثقافيين و السياسيين، و الجمعويين، و الاقتصاديين محليا و إقليميا وجهويا، و وطنيا، و أيضا دوليا.

ومنه فالتربية التراثية تسمح بإيقاظ الحس الفني، من خلال اكتشاف الأشكال الفنية و الثقافية ببيئته اليومية، و تؤسس بذلك لعلاقة جديدة بين المدرسة و محيطها، و تمنحنا طريقة حيوية و نشيطة لتقديم المعارف، و إغناء المعارف الأساس، عن طريق تنويع الوضعيات الواقعية، لربط المدرسة بالحياة. و أيضا تنويع المقاربات النظرية، لتمكين جميع المتعلمين من التعلم، و هو ما ينسجم بشكل كبير مع التوجيهات الرسمية للميثاق الوطني للتربية و التكوين".[24]

لهذا لابد من الإشارة إلى أن التراث هو في الأخير نتاج العقل البشري بشقيه المادي و غير المادي، و عليه "فقد أصبح التراث باتساع عناصره و مكوناته و تنوعها، يشكل موردا و أداة مهمة لتقوية الهوية و التجذر و الانغراس التاريخي لأي مجتمع كيفما كان نوعه."[25] ولضمان بقاء هذا الموروث الثقافي للأجيال اللاحقة قامت الدولة بتخصيص بنود ضمن دستور البلاد من أجل الحفاظ على المعمار المغربي، نستحضر هنا ظهير 26 نونبر 1912"[26] الذي نص على المحافظة على المعالم التاريخية و الكتابات المنقوشة و بضرورة حماية البقايا الأثرية المرتبطة بتاريخ الدولة المغربية. ثم بعد ذلك صدر ظهير جديد بتاريخ 13 فبراير 1914 يشتمل على تعديلات تهدف إلى حماية المناطق المحيطة بالمعالم التاريخية، و المواقع التي تمثل قيمة فنية.[27] ثم بعد ذلك ظهر ظهير آخر سنة 1945. حينما استقل المغرب سنة 1956 لوحظ أن المغرب مازال مقيدا بالقوانين الصادرة منذ فترة الحماية، ففي ظهير رقم341-80-1 بتاريخ 25دجنبر1980[28] نص على الحفاظ على المباني التاريخية و المناظر و الكتابات المنقوشة، و التحف الفنية.

5- المحور الخامس: أساليب وطرق تصريف القيم في المنهاج الدراسي:

تشكل القيم جزءا من التراث اللامادي الذي يمتاز به المجتمع المغربي بمختلف مكوناته وروافده، ورغم أنها تمتاز بطابعها الرمزي إلا أن لها تجليات عدة في البيئة المغربية، حيث تظهر في المناسبات والاحتفالات والعادات والتقاليد واللباس، كما تتخذ شكل سلوك ينظم علاقة الفرد بذاته ومجتمعه، كما تحثه على ضرورة الانفتاح على باقي الثقافات والاستفادة من الخبرات والتجارب الإنسانية، فماهي المقاربة الأكثر نجاعة وقدرة على تصريف القيم في المنهاج الدراسي؟

لقد تبنى النظام التربوي ببلادنا منذ مطع الألفية الثالثة المقاربة بالكفايات، وهي أسلوب حديث ونمط عصري في التدريس يتجاوز البيداغوجيات التقليدية المتمحورة حول المعرفة والأستاذ(ة)، إلى بيداغوجيات تحول دور المدرس من ملقن إلى منشط وموجه وقائد. .. بما يقتضيه ذلك من انفتاح على طرق وتقنيات التنشيط وديناميات الجماعات وتوظيفاتها السوسيوميترية والبيداغوجيات المتمركزة حول المتعلم(ة)[29]، إن اعتماد طرق حديثة في التدريس يجعل المتعلم أكثر قدرة على الوعي بذاته وعلاقته بالآخر، 30وأكثر تشبعا بالقيم الدينية والوطنية والإنسانية، كما يربي فيه ملكة استدامة التعلم.

لقد تبنى واضعو المنهاج التربوي مقاربات جديدة، وبيداغوجيات حديثة، تساير التطورات التي يعرفها العالم، وتستجيب لانتظارات المتعلمين، وتساهم في بناء شخصية متعلم تتسم بالتوازن والاستقامة والقدرة على الاندماج الإيجابي في المجتمع، كما تنمي فيه مجموعة من القيم الإيجابية، ومن بين هذه المقاربات البيداغوجية نذكر:

- **بيداغوجيا حل المشكلات**
- **البيداغوجيا الفارقية**
- **بيداغوجيا الإدماج**
- **بيداغوجيا التعاقد**
- **بيداغوجيا المشروع**
- **بيداغوجيا الخطأ**
- **بيداغوجيا اللعب**

هذا على المستوى البيداغوجي أما على مستوى الحياة المدرسية، فيمكن تصريف القيم خلال الأنشطة الصفية، وعبر الأنشطة الموازية، وهنا سأستحضر تجربتي الخاصة في هذا المجال، حيث يمكن تصريف القيم عبر التربية على التراث من خلال:

- **تفعيل الأندية التربوية**
- **المسرح المدرسي**
- **الاحتفاء بالمناسبات الدينية والأيام الوطنية والعالمية**
- **تنظيم مسابقات ثقافية**
- **ترسيخ ثقافة التميز وتشجيع التفوق المدرسي**
- **احترام البيئة الاجتماعية للمتعلم**
- **تثمين الثقافة المحلية للمتعلم**
- **ترسيخ ثقافة الاعتراف وحب الوطن**
- **تشجيع العمل الجماعي**
- **الانفتاح على المحيط الاجتماعي**
- **البحث عن شركاء اجتماعيين واقتصاديين**
- **توظيف الوسائط التكنولوجية الحديثة**

- **زيارات ميدانية ورحلات استكشافية**
- **إنشاء متاحف وفضاءات ثقافية داخل المؤسسات التعليمية**

هذه بعض الأساليب التربوية، التي نستحضر فيها البعد الحداثي الذي تبنّته المدرسة المغربية المعاصرة، وهو نتاج تجربة ميدانية امتدت لما يصبو عقدين من الزمن، خبرت من خلالها واقع المدرسة المغربية، وآفاق تجديدها وإعدادها لاحتضان مختلف الأوراش التنموية التي تنخرط فيها بلادنا، لأن المدرسة هي نواة كل إصلاح اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو ثقافي، ومن خلالها نساهم في تعزيز الوعي بالتراث الثقافي وترسيخ قيم الهوية الثقافية للمتعلمين.

6- المحور السادس: أمثلة عملية ونماذج تطبيقية:

6-1 مدخل القيم ضمن الإصلاح التربوي

من خلال استقراء الاختيارات والتوجيهات الناظمة للمنهاج الدراسي المغربي، المنصوص عليها في كل من الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وكذلك الكتاب الأبيض، نجد على أن المنهاج ينبني على ثلاثة مداخل أساسية، كما توضح الخطاطة التالية:

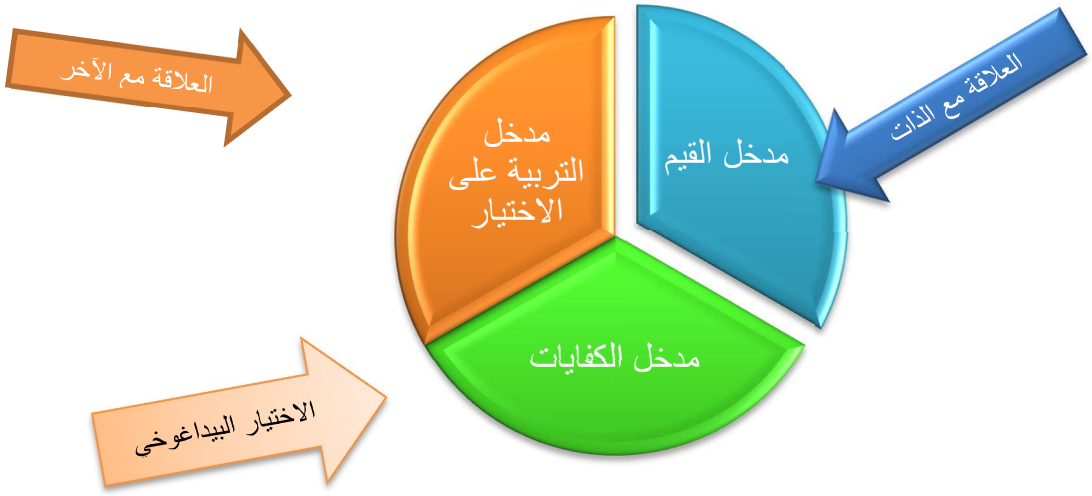

هذه المداخل الثلاث تسعى إلى تحقيق توازن نفسي واجتماعي وسلوكي ومعرفي لدى المتعلم في كل مرحلة أو سلك تعليمي، لقد حاولنا في هذه المداخلة التركيز على محورية موضوع القيم في المدرسة المغربية، لما له من قدرة على خلق توازن نفسي وعاطفي ووجداني لدى الناشئة، وبالتالي إعدادهم للاندماج الإيجابي في الوسط السوسيواقتصادي، مما يؤهلهم للمساهمة الفاعلة في خدمة القضايا والاختيارات الكبرى للوطن. وبناء على هذا المعطى سنحاول تتبع مواصفات المتعلمين في نهاية كل سلك تعليمي.

2-6 مواصفات المتعلم حسب كل سلك تعليمي

مواصفات المتعلمين في نهاية التعليم الابتدائي[33]	مواصفات المتعلمين في نهاية التعليم الثانوي الإعدادي[32]	مواصفات المتعلمين في نهاية التعليم الثانوي التأهيلي[31]
مواصفات مرتبطة بالقيم والمقاييس الاجتماعية تتجلى في جعل المتعلم		
- متشبثا بالقيم الدينية والخلقية والوطنية والإنسانية؛ - متشبعا بروح التضامن والتسامح والنزاهة؛ - متشبعا بمبادئ الوقاية الصحية وحماية البيئة؛ - قادرا على اكتشاف المفاهيم والنظم والتقنيات الأساسية التي تنطبق على محيطه الطبيعي والاجتماعي والثقافي المباشر.	- مكتسبا للقدر الكافي من مفاهيم العقيدة الإسلامية، حسب ما يلائم مستواه العمري، ومتحليا بالأخلاق والآداب الإسلامية في حياته اليومية؛ - متشبعا بقيم الحضارة المغربية بكل مكوناتها وواعيا بتنوع وتكامل روافدها؛ - متشبعا بحب وطنه وخدمته؛ - منفتحا على قيم الحضارة المعاصرة و إنجازاتها؛ - متشبعا بقيم حقوق الإنسان وحقوق المواطن المغربي وواجباته؛ - متذوقا للفنون وواعيا بالأثر الإيجابي للنشاط الرياضي المستديم على الصحة؛	**- متشبعا بقيم الدين الإسلامي، ومعتزا بهويته الدينية والوطنية، محافظا على تراثه الحضاري، محصنا ضد كل أنواع الاستلاب الفكري؛** **- منفتحا على قيم الحضارة المعاصرة في أبعادها الإنسانية؛** **- ملما بقيم الحداثة والديمقراطية وحقوق الإنسان المنسجمة مع خصوصيته الدينية والوطنية والحضارية؛** **- متمسكا بالسلوك الإسلامي القويم والمثل العليا المستمدة من روح الدين الإسلامي؛**

	- متشبعا بقيم المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني وقيم تحمل المسؤولية.	

من خلال تأمل مواصفات المتعلم خلال الأسلاك التعليمية نجد أنها تلقي في ثلاث محاور كبرى:

إن اختيار النصوص الوظيفية والأسناد البيداغوجية لا بد أن تراعى مختلف التوجيهات المرتبطة بخصوصية السلك والمستوى التعليمي والمادة الدراسية، بالجانب المعرفي والسلوكي والمهاري والقيمي أثناء بناء التعلمات وكذلك خلال مراحل التقويم.

3-6 وضعية أولى:

وهنا أقدم نموذجا خاصا وظفته خلال فترة الحجر الصحي، استحضرت فيه مختلف الأبعاد السابقة، ولاقى استحسان هيئة الإشراف التربوي، وعلى رأسهم المرحوم السيد المؤطر التربوي عبداللطيف السباعي بمديرية تنغير بجهة درعة تافيلالت؛

الفئة المستهدفة: الأولى بكالوريا علوم

المجزوءة: قيم إنسانية في الشعر العربي:

وضعية إدماجية:

ركب (ي) فقرة تبرز(ين) فيها أهمية قيمة التضامن في حياة الإنسان مستحضرا (ة):

- ❑ **مكتسابتك في مكون النصوص (قيم إنسانية في الشعر العربي)**
- ❑ **ومكون علوم اللغة من خلال توظيف أسلوبي الطباق والمقابلة**
- ❑ **ومكون التعبير والانشاء من خلال استثمار مهارة الربط بين الأفكار**

لقد راعيت في بناء هذا النموذج مجموعة من الأسس والقواعد:

- ❑ الاستمرارية الباغوجية
- ❑ تجسير الصلة بين المدرسة والبيت عبر وسائط متنوعة
- ❑ استحضار درس القيّم
- ❑ توظيف التكنولوجيا واعتماد الرقمنة
- ❑ التعليم عن بعد
- ❑ التواصل الاكتروني
- ❑ تقويم المكتسبات في مكونات مختلفة

6-4 وضعية ثانية

وفيما يلي مثال لوضعية تعليمية – تعلمية ثانية في اللغة العربية تدمج مجموعة من القيم:

الوحدة: اللغة العربية

المكون: الصرف والتحويل

موضوع الدرس: فعل الأمر

التعلمات السابقة: فعل المضارع، لا الناهية

الوضعية:

بعد نقاش بين زميلين لك في المدرسة، استعمل أحدهما العنف ضد الآخر. قدم بعض النصائح لحثهما على التسامح ونبذ العنف واحترام الآخر، مستعينا بأفعال الأمر وأفعال المضارع مسبوقة بلا الناهية.[34]

خلاصة وتوصيات:

تعد المدرسة مدخلا هاما لإحداث أي تغيير منشود، كما تشكل فضاء مناسبا من أجل تحقيق التنمية وتنزيل المشاريع والرؤى المستقبلية والخيارات الاستراتيجية للدول، وهنا تبرز أهمية التربية على التراث في إعداد جيل يدرك أهميته ويعي قيمته، ويعترف بالتنوع والتعدد الثقافي المغربي، جيل قادر على صون التراث وتثمين الثقافة. وقد لاحظنا الاهتمام الكبير بدرس التراث وموضوع القيم والرأسمال اللامادي عموما ضمن المخططات التنموية، وتم التأكيد على ضرورة الاهتمام بالعنصر البشري، وإعداد موارد بشرية مؤهلة قادرة على قيادة التغيير، والمساهمة الإيجابية في تحقيق الأمن الثقافي والسيادة والاستدامة الثقافية ببلادنا.

وفيما يلي بعض التوصيات التي يمكن أن تساهم في تعزيز الوعي بتراثنا الثقافي وتضمن استدامة القيم باعتبارها جزءا من الرأسمال اللامادي للمجتمع المغربي:

- ❑ استحضار موضوع القيم أثناء البناء والتقويم وخلال الدعم أيضا
- ❑ إعطاء معنى للتعلمات
- ❑ توظيف نصوص وأسناد ودعامات تنطلق من البيئة الاجتماعية للمتعلم
- ❑ التحسيس والتوعية بأهمية التراث الثقافي
- ❑ تنويع العرض التربوي حضوري عن بعد
- ❑ إعادة الثقة بين المجتمع والمدرسة العمومية
- ❑ اعتماد عدالة مجالية في توزيع المؤسسات ذات الاستقطاب المحدود
- ❑ تفعيل دور الشركاء الاجتماعيين والفاعلين التربويين
- ❑ تعزيز حضور درس التراث ضمن المقررات الدراسية
- ❑ تقليص الفوارق بين العرض العام والخاص تكريس المساواة
- ❑ محاولة تصحيح التمثلات السلبية نحو التراث الثقافي وتعزيز ما هو إيجابي
- ❑ تفعيل دور الأندية التربية وخلايا التتبع واليقظة والإنصات
- ❑ العمل بالمشاريع التربوية

- الانفتاح على المحيط السوسيوثقافي للمتعلمين
- تفعيل دور المسرح المدرسي والأندية السينمائية
- خلق متاحف داخل المؤسسات وزوايا داخل الفصول التربوية
- تعزيز جاذبية المدرسة العمومية المغربية
- خلق بيئة سليمة تحترم الخصوصية الثقافية والبيئة الاجتماعية للمتعلمات
- تحفيز الانخراط في مختلف الأوراش الإصلاحية
- جعل المدرسة تستجيب لنبض المجتمع
- مسايرة التحول الرقمي السريع الذي يعرفه العالم

الهوامش:

[1] عباس الجيراري: من وحي التراث، مطبعة الأمنية، الرباط، د.ط. ص 85

[2] عبد الصادق أوزال: واحة سكورة أهل الوسط، أضواء على التاريخ والتراث، دراسة أنتروبولوجية مطلعة صناعة الكتاب الدار البيضاء ط/1 2018 ص 65

[3] وزارة التربية الوطنية: الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي الطبعة الثانية 2009 ص21

[4] المملكة المغربية، القانون الإطار رقم 51.17 المتعلق بمنظومة التربية والتكوين والبحث العلمي، أحكام عامة المادة 2 ص 04

[5] العربي السليماني: المعين في التربية الجزء الأول المطبعة والوراقة الوطنية ط/11 يوليوز 2019 ص295

[6] عبد الفتاح ديبون: أفق المدرسة، غرب ميديا مطبعة وليلي، ط/1 أكتوبر 2003 ص 12

[7] وزارة التربية الوطنية: الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي الطبعة الثانية 2009 ص11

[8] المركز المتوسطي للأبحاث و الدراسات المجالية و الاجتماعية: مجلة المجال و التنمية التراث و السياحة – العدد 4 يوليوز 2019 ص184

9 توفيق أكياس: التراث الثقافي و التنمية – أفريقيا الشرق – المغرب 2024 ص 28 - 29

10 المرجع نفسه: ص 80-81

[11] توفيق أكياس: التراث الثقافي و التنمية مرجع سابق ص 77-78.

[12] EDGAR.MORIN , pour une politique de civilisation, Arléa 2002 P 43

[13] TESTAR , Jacque,DIR ,Réflexions pour un monde vivable ,Proposition de la Commission Francaise du Dévelopement Durable 2000-2003,Paris,Mille et une nuits collection ''les petits libres''n 50,2003,P 85

[14] اتفاقية بشأن صون التراث الثقافي غير المادي، لليونيسكو 2003، طبعة 2018. ص 3

[15] توفيق أكياس: التراث الثقافي و التربية –مرجع سابق ص80

مولاي أحمد رضا: أعراف واحة تودغى: دراسة في بنيات المجتمع القبلي من القرن 19م إلى مطلع القرن 20 مطبعة الجنوب الشرقي –تنغير الطبعة الاولى2022 [16]ص80.

[17]توفيق أكياس: التراث الثقافي و التربية –مرجع سابق ص90.

[18]منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: التراث الحي والتعليم – يونسكو 2019

[19]منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: التراث الحي والتعليم – يونسكو 2019

[20] المرجع نفسه.

[21]توفيق أكياس: التراث الثقافي و التربية –مرجع سابق ص 92

[22]توفيق الحافظ: التراث في العقل الحداثي- دار الفرقد – دمشق الطبعة الأولى 2001 ص 38.

[23] مديرية المناهج والحياة المدرسية: البرامج والتوجيهات التربوية الخاصة بمادة اللغة العربية بسلك التعليم الثانوي الإعدادي غشت 2009 ص13

[24]توفيق أكياس: التراث الثقافي و التربية –مرجع سابق-ص92-93 بتصرف

[25]الحسين بوصليب-عزيز بن الطالب –محمد ايت حمزة: التراث الأمازيغي ركيزة للتنمية بالمغرب-مطبعة المعارف الجديدة-الرباط- ص 2017- ص 106

[26]- المملكة المغربية الشريفة، ظهير 16 ذي الحجة 1330 ه/26نونبر 1912، الجريدة الرسمية 5 {29نونبر 1912}

[27]- المملكة المغربية الشريفة، الجريدة الرسمية 43{27 فبراير 1914}

[28]- المملكة المغربية الشريفة، الجريدة الرسمية 3564{18فبراير1981}

[29] وزارة التربية الوطنية: الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي الطبعة الثانية 2009ص38

[31] وزارة التربية الوطنية: الكتاب الأبيض، الجزء الأول المملكة المغربية، يونيو 2002، ص 29-30

[32] نفس المرجع ص25

[33] نفس المرجع ص21

[34] الدليل البيداغوجي للتعليم الابتدائي مرجع سابق ص 21